الفصل الثالث

العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

(ثقافة الحياة .. وثقافة الحوار)

يقول تشارلز سنجر Charles Singer تكونت الحضارات معتمدة كل منها على الأخرى بصورة ما ، وهي في الحقيقة ليست إلا أدواراً حضارية في حركة واحدة في تطور البشرية ، وأنه ينبغي لنا – إذا أردنا أن نفهم الدور الأوربي في حركة التطور الحضاري – أن نرجع إلى أصوله ، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال قراءة متأنية للقرون الوسطى . هكذا يبدو سنجر منصفاً ، إذ لا يمكن فهم التكوين الحضاري الأوروبي بموضوعية دون الرجوع إلى دور العرب والمسلمين . وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، لم تكن أوروبا وغيرها من المنتمين لأي حضارة في العالم تشك في تفوق الحضارة الإسلامية وتميزها وعطائها الإنساني في مختلف فروع العلم والمعرفة ، إلى أن شهدت بدايات القرن التاسع عشر طفرة علمية (معتمدة على الميراث العربي والإسلامي) أوروبية ، صاحبها محاولات استعمارية لإخضاع العرب الذين يمثلون – من الناحية التاريخية – العدو الذي استطاع صد أطماعهم في آسيا وأفريقيا . فلم يغيب عن ذاكرة أحد وقتئذ انتصار العرب على الرومان في النصف الأول من القرن السابع إبان الفتوحات الإسلامية الأولى في الشام ، ثم في مصر وشمالي أفريقيا . وفي أوائل القرن الثامن استولوا على أسبانيا ، وظل العرب محاصرين لأوروبا من حدود سمرقند إلى أسبانيا أكثر من ثمانية قرون . ولم تستطع أوروبا أن تخترق هذا الحصار إلى آسيا وأفريقيا إلا بعد رحلة فاسكوداجاما إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٧ ميلادية . وفي إطار هذه المنظومة ، لم يستطع الأوروبيون إخفاء كراهيتهم ومشاعر العداء للعرب سواء بمحاولات السيطرة والاستعمار أو التضليل والتشويه ، حيث ذهب كثير من المفكرين الأوروبيين إلى التهوين والاستخفاف بالدور الإسلامي والعربي في الحضارة الغربية . وعلى حين يمكن القول بأن الغرب وُلد سنة ١٤٩٢ بعد رسم خرائط جغرافيا العصور الوسطى ، فإن الفترة من سنة ١١٠٠ إلى سنة ١٥٠٠

ميلادية ، يمكن أن تكون الفترة التي تأسست فيها حضارة جديدة في غربي أوروبا متأثرة – على نحو ملحوظ – بالحضارة العربية والإسلامية التي كانت تشهد وقتئذ نهضة في شتى مجالات المعرفة . وعليه يمكن القول أن الحضارة الأوروبية في تلك الفترة – والتي أدت فيما بعد إلى عصر النهضة العلمية – كانت نتاجاً للدور العربي والإسلامي من الحضارة مترجماً إلى اللغة اللاتينية ، ولكن هذا لم يمنع من وجود تأثيرات يونانية على الحضارة الغربية، ولكنها ثانوية إذا ما قيست بالتأثيرات الأساسية والجوهرية للحضارة العربية والإسلامية ذلك على خلاف ما يزعمه بعض مفكري الغرب من أن الحضارة انبعثت من بلاد اليونان ثم أيقظها الأوروبيون من بعدهم ، وما الحضارة العربية والإسلامية إلا الوسيط . وإن كان جورج سارتون Sarton [1] يقول : إنه من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، لأن المعجزة الإغريقية سبقها آلاف الجهود العلمية في مصر ، وفي بلاد ما بين النهرين وغيرهما من البلدان . أما العلم اليوناني فكان إحياءً أكثر منه اختراعاً ، وكفى بالغربيين سوءاً إخفاءهم للأصول الشرقية التي لم يكن التقدم الهليني (الحضارة اليونانية القديمة قبل عصر الإسكندر الأكبر) مستطاعاً بدونها .

لقد امتدت الحضارة الإسلامية على مختلف جوانب الحياة والمعرفة ، حتى أنه في يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٩ فجر أسين بلاثيوس Palacios (مستشرق أسباني اهتم بصفة خاصة بالتأثيرات المتبادلة بين المذاهب العالمية والديانات التوحيدية وبصفة خاصة المسيحية والإسلام) مفاجأة ، عندما تقدَّم ببحث استهلالي بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الأسبانية عنوانه " الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية " . وقد أثار هذا البحث هزة كبيرة في مختلف الأوساط العلمية في العالم كله ، نظراً لخطورة المشكلة التي أثارها وهي – تأثر دانتي بالتصويرات الإسلامية للآخرة في رائعته الخالدة : " الكوميديا الإلهية " ، وقدم بلاثيوس سنة ١٩٣٣ بحثاً قيماً عن التأثيرات الإسلامية في الفكر الأوروبي تحت عنوان " مفكر مسلم أندلسي يؤثر في القديس يوحنا الصليبي "[2] وفيه يدرس بالتفصيل مدى تأثير ابن عياد الرندي (المتوفى سنة ١٣٩٠م) في يوحنا الصليبي ، المصلح الرهباني وعالم التصوف المسيحي في

القــرن السادس عشر للميلاد . كذلك يمثل دريبر Draper [٣] واحداً من أشهر علماء الغرب الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية ، ولا تزال كلماته الخالدة دليلاً قوياً على الاعتراف بالفضل حين قال : ينبغي لي أن أنعى على الخطة المحكمة المدبــرة التــي تحايــل بها الأدب الأوروبي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمــية عليــنا . أما هذه المآثر فإنها على اليقين سوف لا تظل كثيراً بعد الآن مخفــية عــن الأنظار . إن الجور المبني على الحقد الديني والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

كــذلك ما قاله سيديو Sedillot [٤] يمثل شهادة حق على الدور العربي الإسلامي في الحضارة الغربية حينما يقرر بشجاعة : أنه تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف في التاريخ ، وظهرت منــتوجات ومــصنوعات مــتعددة ، واختراعات ثمينة ، تشهد بالنشاط الذهني المــدهش في هذا العصر ، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب المسلمين كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة . لقد حاول الأوربيون أن يقللوا من شأن العرب المسلمين ، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء .

إن المتأمل للحضارة الإسلامية ، يعتقد – للوهلة الأولى – أنها التهمت كــل شــيء صادفته ، ولكن الواقع أنها كانت تتخير غذاؤها تخيراً دقيقاً ، فلقد تقــبلت كــل مساهمة من شأنها أن تساعدها على الاحتفاظ بهويتها مهما تغيرت الظروف . ومن ثم فإنها رحبت بفنون الجدل الإغريقية ومنهج التأويل الرمزي ، وســيكولوجية الــزهد المسيحي كوسائل توسع بها دعامتها الأساسية . فأخذت بالطــرائق " العقلية " التي تدعم البحث ، وظل الإسلام قروناً عديدة سمحاً بتقبل المعلــومات والأصــول الفنية ومختلف الأشياء وألوان العُرف والعادات من كل حــدب وصوب ، وكذلك دأب على نبذ كل ما لم يكن من المستطاع التوفيق بينه وبين أسلوبه في التفكير والإحساس .[٥]

فلــم يــشهد تاريخ الحضارة الإنسانية ، حضارة مثل الإسلام ، حققت انفــتاحاً علــى الحضارات الأخرى ، فأثرت وتأثرت بتلك الحضارات ، بل أن علمــاء المــسلمين ، كانوا شديدي التواضع للعلم ، وجابوا من أجله كل البقاع

لتعلمه وتعليمه ، ولذلك بقدر عدم خلو الحضارة الإسلامية من ملامح حضارية إغـريقية .. وغيـرها ، لم تخل الحضارات الإنسانية التالية عليها من تأثيرات إسلامية واضحة لا يخطئها المتأمل الموضوعي .

وكانـت عملية التمثل الثقافي للإنتاج الحضاري الإنساني في الحضارة الإسلامية ، أشد انتقاءاً وعمقاً ، حيث ساعد على النهوض والتجديد دون إخلال بالأصالة والهوية .

ومن المحتمل أن ما يتخذه الإسلام من تسامح ورحابه صدر إزاء المادة الأجنبـية ومقدرته على تمثلها ، قد يثير في النفس شعوراً بأنه تعوذه الأصالة . ولكـن أصالة الإسلام إنما تظهر بالضبط في قدرته على تكييف الإلهام الدخيل وفـق حاجاته ، وفي خلقه إياه خلقاً جديداً يسبغ عليه طابعه الخاص ، وفي نبذه كل ما لا يقبل التكيف .[٦]

ومـن ثـم وجب علينا إن نحن شئنا أن نفهم كلا من مقومات الحضارة الإسـلامية وروحهـا ، أن لا نقـصر همنا على اقتفاء ما نقلته واستعارته من المـصادر الأجنبـية ، بل أن نقدر أثرها ومدى فاعليتها . وليس ثمة ميدان من مـيادين الخبـرة الإنـسانية لم يضرب فيها الإسلام بسهم ولم يزد ثروة التقاليد الغـربية فـيها غنى . فثمة الأطعمة والأشربة ، والعقاقير والأدوية والتداوي ، والأسلحة والدروع ونقوشها والفنون الصناعية والتجارية والبحرية ، ثم بعد ذلك الأذواق والموضـوعات الفنية ، ودع عنك الحديث في المصطلحات العديدة في الفلـك والرياضـة ، فإن قائمة تدل على المدى الكامل لمساهمة الإسلام في كل ذلـك . ولا شك أن أعظم رجال اللاهوت وأعظم الشعراء في القرون الوسطى الأوروبـية مدينون للإسلام بأكبر الفضل في ناحيتي الإلهام والمادة جميعاً . ألا تـرى إلى توماس أكونياس كيف يستخدم مذاهب ابن ميمون (المتوفى ١٢٠٤) وابـن رشـد (المتوفـى ١١٩٨) ، كما أنه يستخدم طريقة الجدل المألوفة عند المتكلمين الإسلاميين .[٧]

وكـذلك بذلت جهود شبيهة بهذه في ميدان الكيمياء القديمة Alchemy والتنجيم ، وقد ابتكر العرب المسلمون علم الجبر ، ويعد محمَّد بن موسى

الخوارزمي أول من ألف مصنفاً في الجبر والمقابلة ، وكان له السبق في استخدام المماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ، وهو ما وضعه " أبو الوفاء محمَّد بن محمَّد بن حيى النرجاني " الذي أنشأ أول جدول للمماسات ، ومصنفاً لاستخدام الأوتار ، وشرحاً لكتاب ديو فانطس في الجبر والمقابلة ، وفي مجال الرياضة أيضاً نبغ أبناء " موسى بن شاكر " محمَّد ، وأحمد ، والحسن ، فقد برعوا في الهندسة والميكانيكا (علم الحيل) ، والبحث في مجال الحركة والآلات المفرغة للهواء والموسيقى والنجوم ، ولهم كتاب متميز في مبادئ الميكانيكا وذبذبات الصوت . وفي مجال علوم الطبيعة ، صنف " ابن الهيثم " في علم الأبصار والأشعة المنعكسة والمنكسرة ، وغير ذلك مما مهد لصناعة الميكروسكوب والتليسكوب ، وعلم البللورات المبكرة عموماً ، والمقربة كذلك ، وقد نقلت كتبه إلى اللغة اللاتينية ، وانتفع بها الأوروبيين ومن أولئك جاليليو . ومن علماء المسلمين في مجال " تخطيط البلدان " ، " الإدريسي " ، " زكريا بن محمود "، " ياقوت الحموي " ، " أبو الفدا إسماعيل "، " المقريزي ". وقد كان تجار العرب أول من جاس خلال الأقطار وقطع البحار ، وكانت لهم مشاهدات قيمة ، ولم تخل آراؤهم فيها من فوائد ثمينة وأخبار قيمة . ولأبناء " موسى بن شاكر " فضل كبير في الاستكشافات الفلكية ، وخصوصاً تحديد المبادرة السنوية أي تقهقر نقطتي الاعتداليين ، ورسم مواقع النجوم على مدار السنة ، وقياس عرض مدينة بغداد بأنه ٢٣ درجة ، ٢٠ دقيقة ، وهو العرض الصحيح الذي استخرجه علماء عصرنا .

وإذا كان بعض مؤرخي العلم من أمثال جوستاف جرونيباوم ، يذهبون إلى أن سيطرة الأمم على الطبيعة ، مقياس لتأخر الأمة أو وصولها إلى مرتبة الحضارة ، وهم يعتقدون أيضاً أنه بهذا المقياس أن العالم الإسلامي لم يضرب إلا بسهم ضئيل فيها .[٨]

والواقع أن هذه النظرة الإسلامية للطبيعة التي لا تلهث لوضع الحياة الفيزيقية (المادية) تحت الضبط والهيمنة التقدمية ، تمثل أجمل وأرقى النظريات والفلسفات البيئية المعاصرة ، والتي تسعى إلى التوافق والتناغم مع البيئة دون إفراط أو تفريط .

وعلـــى الـــرغم من اندثار بعض الحضارات ، كحضارة بين الرافدين ومصر القديمة والإغريقية والبيزنطية وأمريكا الوسطى ، إلا أن ثمة اتفاق على وجـــود خمـــس حـــضارات أساسية ، الإسلامية ، الغربية ، الصينية ، الهندية اليابانية ، ويضيف بعض الباحثين الروسية الأرثوذكسية كحضارة مستقلة متميزة عن سلفها البيزنطية ، بينما يعتقد باحثون آخرون ، في وجود حضارتين أخرتين همـــا الأفريقية ، الأمريكية اللاتينية . وسنحاول فيما يلي استعراض العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات المشار إليها آنفاً .

١ - الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية :

ســـبق أن أوضـــحنا فـــي مقدمة الفصل الراهن – أن الغرب ولد سنة ١٤٩٢م ، حـــيث تم اكتشاف أمريكا وطرد المسلمين من أسبانيا ، وعلى الرغم من أن هذا لم يتحقق على نحو نهائي سوى سنة ١٦٠٩م ، لقد ولد الغرب تحت شـــعار " الاستيلاء والطرد " ولا يعني ذلك أنه لم يكن للغرب وجود قبل العصر الحـــديث ، فعلـــى العكس من ذلك ظل العالم الأوروبي ينظم ذاته عبر العصور القديمـــة . لكن ميلاد الهيمنة والسيطرة كان على النحو الذي ذكرناه سلفاً . ومن ثم فإن ادعاء هنتنجتون بأن الحضارة الغربية ترجع إلى القرنين السابع والثامن الميلادي ينطوي على مبالغة كبيرة .

فبالنظـــر إلـــى هذا التاريخ كان العالم الغربي مازال يعيش في ظلمات العصور الوسطى ، والدليل على ذلك أن أول بوادر النهضة وتباشير البعث في الحـــضارة الغـــربية كانت على يد الراهب " توما الأكويني " بعد التاريخ الذي يذكـــره " هنتنجتون " بقرون ، حيث استفاد الإكويني بشكل مكثف من إسهامات ومداخلات فلاسفة مسلمين مثل ابن رشد والفارابي وابن سينا . كذلك فإن الدليل الثانـــي هو أن مقدم الصليبيين إلى المشرق العربي في حملاتهم الأولى جاء في القـــرن العاشـــر المـــيلادي ، في وقت كان الغرب فيه يحاول جاهداً – وبنجاح محـــدود – الإمـــساك بأسباب التقدم في التنظيم والتدريب والتسليح العسكري ، وكانـــت النهـــضة بعـــيدة المنال وأبعد منها الإصلاح الديني والتحول العلماني اللاحقين ، حيث كان رجال الكنيسة يلعبون في ذلك الوقت دوراً مهماً في مجال التوجيه والتحريض وسبغ الشرعية على الحكام .[٩]

ويجـــدر الإشـــارة إلى أن الحضارة الغربية قد استعارت من الحضارة الإسلامية سواء عبر الأندلس (بعد سبعة قرون من الوجود الإسلامي هناك) ، أو بما حملته الحملات الصليبية العائدة من المشرق العربي من إنجازات الحضارة الإسلامية . ولم يكن ما أخذته الحضارة الغربية من حضارة الإسلام قاصراً على المنجزات العلمية والتقنية فحسب ، بل امتد ليشمل مختلف جوانب الفكر والأدب والفلسفة والفنون .. إلخ .

وعلى الرغم من أن مصطلح الغرب كان يعكس – من الناحية الجغرافية – غرب أوروبا وأجزاء من وسطها ، إلا أنه منذ بداية الحرب الباردة بات يشير إلـــى تحالـــف استراتيجي عسكري إيديولوجي اقتصادي يضم الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية ، وهو ما يقلل من فكرة وجوده ككيان حضاري أو ثقافي متجانس . على حين أن مصطلح " الشرق " يطلق – قبل تحلل الاتحاد السوفيتي – علـــى المعسكر الاشتراكي في شرق ووسط أوروبا والدول الحليفة معه التي تطبق نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

وعلـــى نحو أخير فإن بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين يطلقون كلمة " الغرب " على مجمل أوروبا وأمريكا الشمالية ، على اعتبار أنهم ينظرون إلى " الشرق " الشيوعي على أنه في نهاية المطاف نبت حضاري للغرب بمعناه الثقافي والحضاري الواسع، وبقيمه ومبادئه ومثله العليا وبنمط تطوره التاريخي.

فالماركـــسية هي في نهاية الأمر نتاج للحضارة الغربية ، وإن كانت رد فعـــل علـــى بعض تجاوزات هذه الحضارة، فإنها تبقى أسيرة إطارها المرجعي وفلسفتها المادية وتفسيرها الصراعي للأحداث .(١٠)

وهـــذا ما يفسر أن كثيراً من الآراء المعاصرة السياسية والاستراتيجية (مثل فوكوياما وهنتجنتون وغيرهما) والتي انطلقت من الغرب ، اعتمدت – في المقام الأول – على مرجعية الفكر الماركسي .

ومن المهم أن نشير في هذا المقام إلى أن الغرب الذي نعنيه في الدراسة الـــراهنة يضم مكونين أساسيين هما أوروبا وأمريكا الشمالية ، فعلى الرغم من المفارقة بينهما في القرن التاسع عشر ، أصبحا يمثلان جناحا الحضارة الغربية (أوروبـــية / أمـــريكية) ، أو حضارة شمال الأطلسي . ووفقاً لهذا الأساس فإن

الغـــرب يـــتم تحديده على نحو جغرافي ، إلا أن هذا لا ينفي البعد الإيديولوجي للحـــضارة الغربية المتمثل في المسيحية أو اليهودية ، المسيحية من وجهة نظر أخرى . كذلك فإن للغرب تجربته السياسية الاجتماعية الليبرالية التي تميزه عن غيره من المجتمعات .

وعلـــى الـــرغم من أن العالم الإسلامي ، كان مصدراً أصيلاً للحضارة الغـــربية ، كما أوضحنا سلفاً ، إلا أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر شهدا ظهـــور علامات الابتعاد الثقافي للأوربيين عن العالم العربي – الإسلامي ، هذا التباعد والانكفاء ، لم يؤد بعد ذلك إلى قطع الاتصالات بين هاتين الحضارتين ، وإنمـــا أخذت الاتصالات بينهما أشكالاً جديدة ، فانتظمت العلاقات الدبلوماسية ، واتسعت وتنوعت العلاقات التجارية . وحتى في ميدان العلوم الطبيعية ، وعلوم الطـــب ، وإلـــى حد ما في ميدان الفلسفة ، استمر الأوروبيون في توجههم نحو المـــصادر العربية بغية الحصول على المعارف الضرورية التي تلزمهم . ومن النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر استؤنفت أعمال الترجمة والعلاقات الثقافية بين إيطاليا والعرب ، وإن كانت على نطـــاق غير واسع . ولكن في المجال المعرفي البحت ، تنامى موقف اللامبالاة والتجاهل إزاء الفكر العربي الإسلامي .[١١]

ولكـــن الـــذي يمكـــن استنتاجه من أحداث القرون الوسطى ، يتحدد في توجـــيهن أساســـيين ، حرص الغرب المسيحي على أن يبني علاقته مع العالم الإســـلامي علـــى أساسهما ، وهما : ضرورة الأخذ من هذه الحضارة ، والتعلم منها ، والتوجه الثاني ، اعتبارها حضارة ذات عقيدة معادية للغرب والمسيحية ، ومن ثم وجب الاستعداد لها ومحاربتها .

وتشكلت في الوعي المسيحي ، إبان القرون الوسطى ، القوالب النمطية الذهنـــية عـــن الإسلام ، وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباط مسبق وارتهان شرطي بنوع وطبيعة الموقف التقليدي للكنيسة من الحضارة الإسلامية. وبشكل عام فإن صورة الإسلام وحضارته المتكونة آنذاك ، وهي مزيج متناقض لمجمـــوعة من المعارف المشوهة ، التي هيمنت لفترة طويلة على عقل الإنسان الأوروبـــي ومـــنطقه ومداركه تجاه الإسلام وحضارته . ويشير الدارسون إلى

ثلاثـــة عناصر بنيوية ، أسهمت في تشكيل هذه القوالب النمطية ، متداخلة فيما بينها ، وهي : الميثولوجية ، واللاهوتية ، والعقلانية .[١٢]

أما في العصر الحديث (في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عـــشر) ، جـــرت في أوروبا عملية فكرية بطيئة ، ضمن إطار دائرة ضيقة من المختصين ، في ما يتعلق بتراكم المعارف العلمية عن الشرق العربي والإسلام . ففـــي القـــرن الـــسادس عشر حدثت تغيرات كبرى في موقف المسيحيين إزاء الإسلام . حيث أن الأوربيون بدأوا يلمسون كيف أن السبق الثقافي أصبح يتحول إلـــى صفهم ، ولم يُعدَّ الأوربيون ينظرون إلى الإسلام بوصفه منافساً جدياً في ميدان العقل والعلم . حتى أن مارتن لوثر Luther (مؤسس البروتستانتية) تهكم علـــى تصورات القرون الوسطى (الأوروبية) حول الإسلام . وكان لوثر واحداً من أوائل الذين صاغوا " نموذجاً " جديداً للموقف من الإسلام حيث يقول " البابا والإســـلام يـــشكلان – من حيث الجوهر – العدوين اللدودين للمسيح والكنيسة المقدسة " .[١٣]

وفـــي الاجتماع السنوي الثاني والعشرين للجمعية الأمريكية الكثاوليكية التاريخـــية ، الذي عقد سنة ١٩٤١ ألقى مارشال بولدوين Baldwin ، بوصفه رئيـــساً للجمعـــية ، خطاباً جاء فيه " إن الغرب ما عاد ينظر للإسلام باعتباره خطـــراً علـــى الحـــضارة " وهو بذلك كان يصف وضعاً حديثاً كانت فيه البلاد الإســـلامية كلهـــا تقريباً تحت السيطرة الغربية . وذكر بولدوين مستمعيه " بأن العـــالم المـــسيحي ، أو أجـــزاء مهمة منه على الأقل ، ظلت تواجه خطر عالم إســـلامي معاد لفترة تقرب من الألف سنة تمتد من تاريخ وفاة النبي سنة ٦٣٢م حتـــى تاريخ انهيار آخر هجوم عثماني أمام فيينا سنة ١٦٨٣م " ثم أضاف " إن الإسلام كان الدين الوحيد الذي جاء عقب المسيحية وغنم منها مناطق شاسعة ، وكبدها هزائم عسكرية كبرى " .[١٤]

هكـــذا تـــبدو النظرة الحديثة التي نظر بها الغرب للشرق الإسلامي منذ الـــبداية وحتـــى سنة ١٦٨٣ ، نظرة عداء دفاعي في البداية تحولت إلى عداء هجومـــي فيما بعد . وقد تأصلت هذه الروح العدائية للإسلام من قبل الغرب في الحـــروب الـــصليبية (١٠٩٥ – ١٢٩١م) ، والتي انطلقت شرارتها الأولى في

السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥م بالخطبة التي ألقاها البابا إربان الثاني Urban II في حشود المستمعين في أوفريني بكليرمون في جنوب فرنسا.

وقد تركت الحروب الصليبية آثاراً سالبة على المجتمعات العربية الإسلامية ، حيث عانت هذه المجتمعات من التدهور الاجتماعي على صعيد النظام القيمي والأخلاقي ، وتوترت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، لاسيما في بلاد الشام . ومن ناحية أخرى ، أدت الحروب الصليبية إلى اختلال القوى الاجتماعية في بعض المناطق ، إذ تحول المسلمون إلى أقليات في المدن التي احتلها الصليبيون من جراء المذابح الصليبية والهجرات الضخمة التي نجمت عنها . كما أن بعض المسلمين آثروا أن يرتدوا عن دينهم فاعتنقوا المسيحية خوفاً على حياتهم . أما التأثير الاقتصادي للحروب الصليبية في العالم العربي الإسلامي ، فقد اتخذ أبعاداً غير منسقة . فبينما عانت الزراعة من التدهور والتخريب في بعض المناطق ، ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية في مناطق أخرى ، وبينما ازدهرت بعض المدن الواقعة على طرق التجارة البرية والبحرية اضمحلت مدن أخرى كانت مزدهرة قبل عصر الحروب الصليبية . وخلاصة القول ، لقد كانت الحروب الصليبية صداماً عسكرياً ومواجهة حضارية طويلة مضنية بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الكاثوليكي . وقد بدأت هذه المواجهة في وقت كانت الحضارة العربية الإسلامية قد بلغت أقصى مراحل نضجها وتطورها . وفي خضم الصراع تجلت عوامل الضعف في العالم العربي الإسلامي ، وتجلت في الوقت نفسه عوامل القوة التي ساعدته على الصمود أمام الغزوة الصليبية والانتصار عليها . وإذا لم تكن الحروب الصليبية هي السبب في توقف الحضارة العربية الإسلامية وجمودها ، فإن تلك الحروب التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان ، كانت من أهم عوامل استنزاف قوى الدفع الإبداعية في الحضارة العربية الإسلامية .[١٥]

ولكن ذكريات المسلمين عن الهيمنة الغربية لا تقف عند حدود الحروب الصليبية ، تلك الحروب التي عبرت – كما أوضحنا سلفاً – عن صراع حضاري بين الإسلام والمسيحية الكاثوليكية ، ورغبة الأخيرة في الهيمنة

والسيطرة على العالم الإسلامي . ولكن الخبرة الأحدث عهداً تتجلى مع الحقبة الاستعمارية التي بدأت منذ القرن السادس عشر وحتى ما بعد سنة ١٩٤٥ .

وعلى الرغم من أن التجربة الاستعمارية والصراعات المناهضة للاستعمار هما عاملان مهمان في تحديد تصورات المسلمين المعاصرين عن الغرب ، فإنه ليس بالإمكان إغفال أثر هاتين العمليتين في التفكير الأوروبي ، لقد أثبت الإسلام ، من حيث هو ثقافة ، قدرة على المقاومة النسبية للتغلغل الاستعماري . كما أن البعثات التبشيرية المسيحية بدأت خلال الحقبة الاستعمارية اختراقاتها المحدودة داخل الأراضي الإسلامية . وتعجل الأوربيون تفسير هذه المقاومة باعتبارها دليلاً على التعصب الديني والسياسي .(١٦)

على أن الأمر بلغ ذروته باقتطاع جزء من قلب العالم الإسلامي وإقامة كيان يهودي به ، وتوسعت إسرائيل مع الزمن وبدعم عسكري غربي جعلها دائماً في موقع المتفوق عسكري على الدول العربية الإسلامية . ولم تتخل أوروبا عن إسرائيل طيلة صراعها الطويل مع العرب ، كما أن هذا الدعم الغير محدود يمثل أحد ثوابت السياسة الأمريكية في الإدارات المتعاقبة . وإذا كان الاستعمار – بمفهومه التقليدي – مآله عملياً أن ينتهي ، فإن إسرائيل تظل البؤرة الصليبية في قلب العالم الإسلامي .

أما إذا أردنا الحديث عن المكون الثاني للغرب وهو الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن تفاعلها مع العالم الإسلامي لم يبدأ جدياً حتى أوائل القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من أن الانطباعات الذهنية المتولدة عن قرون الخبرة الأوروبية تمثل جزءاً مهماً من النهج الفكري تجاه الإسلام على جانب الأطلسي، إلا أن نظرة بعض الإسلاميين للولايات المتحدة كانت مغايرة حتى عقد الستينيات من القرن العشرين ، حيث مثلت بالنسبة لهم نموذجاً للتقدم وشيوع قيم الحرية والديمقراطية . ولم تلبث هذه النظرة كثيراً حتى انهارت أمام أطماع الولايات المتحدة الاستعمارية وأساليب الكيل بمكيالين في التعامل مع القضايا الدولية .

ويجدر الإشارة إلى أن الإسلام ينتشر في الولايات المتحدة على نحو ملحوظ ، خاصة في العقود الأخيرة ، حتى أصبح الديانة الثانية من حيث الحجم

بعد المسيحية نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من المسلمين وتحول كثير من الأمريكيين السود (الأفارقة) إلى الإسلام .

وفي إطار الحديث عن الهيمنة الاستعمارية للغرب ، لا يغيب الجانب الاقتصادي الذي مثل دائماً هدفاً من أهداف الاستعمار ، زاد من تأثيره ظهور النفط في مناطق كثيرة من العالم العربي الإسلامي .

وعندما شهدت أوروبا نهضتها الحديثة ، وأخذ مجرى التأثير الحضاري ينطلق من الغرب إلى الشرق ، لم يتردد المسلمون كثيراً في الأخذ بأساليبها والاستفادة من منهاجها وإنتاجها ، وربما حالت بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في بعض مناطق العالم الإسلامي ، دون الاستفادة المبكرة من النهضة الحضارية الغربية ، لكن هذا لا يعبر عن رفض للتقدم ، بقدر ما يعبر عن عجز في الإمساك بها واللحاق بركبها .

وأي كان الجدل الدائر حول علاقة الإسلام بالغرب ، فإن ثمة أبعاد أخرى لهذه العلاقة ، تتجاوز الإيديولوجية وترتبط في كثير من جوانبها بالدور المركزي الذي تؤدي المصالح والأهداف المتعلقة بالقوة . فلا يمكن تجاهل توزيع القوة والثروة والنفوذ العالمي في هذا الصراع . إنها حضارة الفقير والضعيف وحضارة الغني والجبار ، فهو نزاع بين أولئك الذين يحوزون القوة وأولئك الذين لا يملكونها ، بين أولئك الذين يتحكمون في مصير العالم وأولئك الذين هم موضوع التحكم .

إن جزءاً جوهرياً من أي تحليل للعلاقة بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب ينبغي أن يبنى على الربط بين نظم الاعتقاد والقوة .

٢ - الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية :

على الرغم من العزلة النسبية التي أحاطت بتطور حضارة الصين ، إلا أنها تقف وسط حضارات العالم العظيمة في تكوينها وإنجازاتها ودلالتها . فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية - كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزاً للكون . وكلمة شينج - كيو Chung – Kuo وهي الاسم الصيني للصين ، تعني حرفياً " مملكة الوسط " فقد

عـدَّ الـصينيون أنفسهم ، على نحو ما فعل الإغريق ، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية .

لعبت ثلاث ديانات الدور الرئيسي على مدى ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الـصيني . وهـذه الـديانات هـي : الكونفوشـية ، والتاوية ، والبوذية . أما الكونفوشية والتاوية فهما ديانتان قوميتان أصيلتان في الصين ، وجدتا قبل دخول الـبوذية إلـيها من الهند بحوالي خمسمائة سنة . وحتى قبل ظهور الكونفوشية والـتاوية كانت هناك ديانة أقدم (تفرعت عنها الكونفوشية والتاوية كل بطريقتها الخاصـة) . وسيطرت هذه الديانة القديمة على الصين لما يقرب من ألف سنة . وهكـذا امتد تاريخ الدين في الصين لأكثر من ألف عام ونصف الألف قبل أن تواجه أفكاره تحدي التراث الأجنبي .[١٧]

وليس أدل على قوة الثقافة الدينية الصينية من أن البوذية ، حينما وفدت إلـيها تطبعت بالثقافة الصينية ، وظهرت المدارس البوذية الصينية الخالصة ، لكن هذا لم يمنع من وجود تأثير قوى للفكر الهندي وتجربته الدينية على عقول الـصينيين حتى أنه غير من الكونفوشية والتاوية ، اللتين عادتا إلى الظهور في شـكلين جديرين هما : الكونفوشية الجديدة والتاوية الجديدة الذين يمثلان جوهر الحـضارة والثقافة الصينية . وتقوم الفلسفة الصينية على أهمية المحافظة على الحـياة الإنـسانية العظـيمة ورعايتها . من خلال فهم جيد للعالم وجعل الناس عظماء .

ولكون المرء عظيماً وجهان ، في الفكر الصيني ، فهو في المقام الأول يتـضمن " عظمة داخلية " هي شموخ الروح ، منعكساً في سلام الفرد ورضائه بكمالـه . وهو يتضمن ثانياً " عظمة خارجية " ، تظهر في القدرة على العيش بـصورة جيدة على الصعيد العملي ، مع الشعور بالعزة في السياق الاجتماعي الـذي يـوجد فيه المرء في حياته اليومية المألوفة . وهذا المثل الأعلى يسمى " بالحكمة في الداخل والنبل في الخارج " ويقول حكيم الصين لاوتسو Laotzu " إنـه مـا لـم يعـرف المرء ويحي وفقاً لقوانين الكون الداخلية التي يسميها (الثوابت) فإنه ينتهي بكارثة " ، ويسمى معرفة الثوابت بالاستنارة . ومن يعرف الـثابت يتحـرر ، ومن يتحرر يخل من الهوى والتحيز ، ومن يخل من الهوى

والتحيـــز يتـــسع إدراكه ، ومن يتسع إدراكه يصبح رحب الأفق ، ومن يصبح رحـــب الأفـــق يكـــن مع الحقيقة ، ومن يكن مع الحقيقة يستمر إلى الأبد ، ولا يعـــرف الفشل على امتداد عمره . أما الجهل بالثابت والتصرف على نحو يفتقر للبصيرة فهو مضي إلى الكارثة .[١٨]

هكـــذا تـــبدو حضارة وثقافة الصين لا تخل من التعاليم الطيبة ، وتؤكد علـــى الأخلاق والحياة الروحية ، فالروح وليس الجسم ، هي الجانب الأهم في الوجود البشري .

وتذكـــر التواريخ الصينية أن أول دخول الإسلام في الصين ، كان في أيام أسرة تانج ، التي عاصرت البعثة المحمدية ، وعصر الراشدين وعصر بني أمـــية . وكـــان القادمون إلى الصين من المسلمين تجاراً دخلوا بلاد الصين من الجنوب أيام بني أمية ، فاستقروا في كانتون حيث أنشئوا لأنفسهم جالية زاهرة ، واتخذوا المساجد ، وأطلق عليهم أهل الصين لقب هوى هوى . واستمر الإسلام يتوســـع في الصين ، حتى قرر ماركو بولو الذي عاش في الصين فيما بين سنة ١٢٧٥ ، ١٢٩٢ أن أعـــداداً كبيرة من المسلمين تعيش في إقليم يونان . وكذلك وصف ابن بطوطة الذي زار الصين في منتصف القرن الرابع عشر ، ترحيب إخـــوانه المسلمين في مدن الصين به ، وقرر أن كل مدينة من مدن الصين فيها هـــي للمسلمين ، ينفردون بسكناه ولهم فيه المساجد العامرة . وتمتع الإسلام في الـــصين بقـــبول حسن ، ولقي المسلمون معاملة طيبة طوال عصر أسرة تانج ، التـــي انتهت سنة ٩٦٠م ، فلما خلفتها أسرة سونج ، ازدادت التجارة ازدهاراً ، وتـــزايد توافد المسلمين على الصين ، وأصبحت كل تجارة الصين مع بقية بلاد الـــشرق وأوروبـــا فـــي أيدي المسلمين ، فعرفت أوروبا حرير الصين وخزفها وتحفهـــا وصـــناعاتها الدقيقة عن طريقهم ، وحملوا إليها متاجر أوروبا وغرب آسيا ، ونظراً لما امتاز به المسلمون من خلق طيب ، وأمانة والتزام بالقوانين ، فقد احترمهم شعب الصين ، وزاد انتشار الإسلام تبعاً لذلك . ويقرر المبشرون الكاثولـــيك فـــي القـــرن التاسع عشر ، إن عدد المسلمين في الصين زاد زيادة عظـــيمة ، ويـــردون هذه الزيادة إلى أن عدد المسلمين في الصين سنة ١٩٥٠ خمـــسون ملـــيوناً ، أي واحد إلى اثني عشر من سكان الصين ، أي أن الصين

تجـــيء الخامـــسة فـــي أعـــداد المسلمين فيها بعد إندونيسيا وبنجلاديش والهند وباكستان .[١٩]

والمتأمل في تاريخ العلم يلاحظ أن الصين – بوجه عام – تخلفت نسبياً عن العرب والغرب منذ حوالي القرن الحادي عشر ، ويشير كثير من الباحثين الموضوعيين إلى أن العرب المسلمين لعبوا دورا مهماً في نقل الأفكار الرياضية للعلـم الصيني خلال عصر يوان Yüan (١٢٦٤–١٣٦٨م) ومع أن الصينيين أســهموا كثيــراً في تقدّم الرياضيات (ولاسيما في علم الجبر) والفلك ، فإن هذه المساهمات لم تكن تقع على الطريق المؤدي إلى علم الفلك الحديث على الصورة التـــي اتخـــذها في الإسلام والغرب . أما علمي الهندسة والمثلثات ، باعتبارهما يقومان على الاستنباط المنظم للبراهين والأدلة ، فلم يكن لهما وجود في الصين علـــى الـــرغم من أهميتهما في التقدم عند وضع النماذج الفلكية . أما الفلكيون العرب فكانوا قد أعدوا أزياجاً كثيراً تسجل الإحداثيات الفلكية لكثير من المواقع فـــي كل أنحاء الشرق الأوسط بسبب اختلاف المواقيت تبعاً لاختلاف المواقع . وأدت عيوب الصين في هذا المجال إلى أن يستخدموا فلكيين مسلمين في المكتب الـــصيني للفلك منذ القرن الثالث عشر فصاعداً دون انقطاع . وقد أسس مكتب إســـلامي خاص للفلك في الصين سنة ١٣٦٨م كان ما يزال يعمل حينما وصل المـــسيحيون فـــي القرن السادس عشر ، وعندما وصل المسيحيون كانت هناك أربعـــة نظـــم فلكية منافسة : النظام الصيني التقليدي ، والنظام الإسلامي (القائم علـــى الـــتقويم القمـــري) ، والنظام الأوروبي الجديد ، ونظام المكتب الشرقي الجديد.[٢٠]

لذا فإن نيدم Needham لاحظ أن التأثيرات الرياضية العربية كانت لها فـــرص لا شـــك فيها للاندماج بالتراث الصيني . كذلك نلاحظ أن الصينيين لم يبرعوا مثل المسلمين في علم البصريات ، خاصة فيما يتصل بتطوير التلسكوب والمجهر ، وهما الآلتان اللتان لعبتا دوراً أساسياً في تطور علمي الفلك والطب.

وقـــد كان العالم العربي المسلم ابن الهيثم (المتوفى سنة ١٠٤٠م) ساهم بنـــصيب وافـــر فـــي تطوير هاتين الآلتين وكانت أعماله قد أرست أسس علم البصريات الحديث ، وإن كان نيدم يرى أن الصينيين في أوائل العصر الوسيط

كانـــوا على إطلاع على ما كان يجري في علم البصريات عند العرب ، إلا أنه يعتـــرف بأنهم عانوا كثيراً من افتقارهم للهندسة الاستنباطية اليونانية التي كان العرب قد ورثوها عن اليونانيين ، وطوروها .[٢١]

وهكـــذا يبدو واضحاً ، وجود علاقات علمية وحضارية بين الحضارتين الإســـلامية والصينية ، وكانت الأخيرة قد نهلت كثيراً من الأولى مثلما أوضحنا فـــي الـــنماذج السابق الإشارة إليها . لكن هذه العلاقات ليست على النحو الذي افترضه هنتنجتون في كتابه " صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي " . يـــستدل " هنتنجـــتون " لتبرير دعواه بالمواجهة التي حدثت أثناء مؤتمر حقوق الإنـــسان في فيينا بين الغرب وبين اتحاد الدول الإسلامية الكونفوشية الرافضة لمـــبدأ العالمية الأمريكية ، ومما يثير العجب استناد " هنتنجتون " إلى ملاحظة ضعيفة في دعم رؤيته وهي أن الصين تبيع مكونات صواريخ لإيران ، وتساعد باكـــستان على إنتاج صواريخ . وبهذا التحليل السطحي يربط " هنتنجتون " بين الحـــضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، ويعتبرهما معاً مصدر التهديد القوى والمباشر لمستقبل الحضارة الغربية . ويرى أن المواجهات الأكثر عنفاً ستجمع المـــسلمين بباقـــي الحـــضارات (وخاصة الكونفوشية) ضد الحضارة الغربية ، وســـيكون الانقـــسام الأساسي على المستوى العالمي – من وجهة نظره – بين الكبـــرياء الغربـــي واللاتـــسامح الإسلامي والرغبة في تأكيد الذات من جانب الـــصين. ويؤكد وجود محور تعاوني إسلامي كونفوشيوسي يجمع بين مجموعة مـــن الـــدول الإســـلامية والكونفوشيوسية ، ولذلك يطالب بمنع هذا المحور من التسلح العسكري وخاصة التسلح النووي .[٢٢]

٣ – الحضارة الإسلامية والحضارة الهندية :

تعتبر الهند دولة ذات حضارة قديمة ، ويعتقد المؤرخون أنها بدأت قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة ، ومع ذلك من الصعب تقديم تطور معرفي كامل ومتسلـــسل عـــن هذه الحضارة . وثمة آراء تختلف حول حضارة الهند ، حيث يعـــتقد الـــبعض بوجـــود حضارة هندية واحدة ، بينما يذهب آخرون إلى وجود حضارات متتالية وتأثيرات متعددة .

ويـــوجد في الهند ما يقرب من ٢٤٠ لغة ونحو ٣٠٠ لهجة ماعدا اللغة الفارســية والــبهلوية والصينية والإنجليزية والسنسكريتية . وتعتبر المعتقدات الدينية في الهند أساساً لجميع النظم الاجتماعية ، فما في الهند من نظم اجتماعية ليس بالحقيقة إلا نظماً دينية .[٢٣]

وتنتــشر في الهند ديانات عديدة ، وإن لم تبلغ من الكثرة مبلغ اللغات ، فالأديــان المــشهورة فــي الهــند هي : الهندوسية والإسلام والبوذية والسيكية والمــسيحية بجــوار مــذاهب أتباعها قليلون جداً ، ولكن الذي يهمنا في البحث الــراهن هو الديانات ذات التأثير الواضح في الحضارة الهندية ، وهم الهندوسية والإسلام والبوذية . والهندوسية هو إتباع أو عبادة الإله فشنو Vishnu أو شيفا Shiva أو الإلــه شاكتي Shakti أو تجسيداتهم ، أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم . وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من أتباع عبادة راما وكرشنا Rama & Krishna (وهمــا تجــسيدان لفــشنو) وأتباع عبادة درجا Durga وســكاندا Skanda وجانيشا Ganesa (وهما على الترتيب زوجة شيفا وابناه) لكن ينبغي أن نستبعد براهما Brahma وسيريا Surya أي الشمس ، اللذين كان لهمــا من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة ، كما ينبغي كذلك أن نستبعد قلة هم أولــئك الــذين يعتبــرون التراث الفيدي Vedic (نسبة إلى الفيدا Veda كتاب الهندوس المقدس) هو التعبير الرئيسي عن الدين ، وهو تراث أسبق من التراث الهندوسي .

وعلــى كل حال فالهندوسية تشتمل على كثرة من العبادات والفرق التي تقترب قليلاً أو كثيراً من الاندماج في تراث بالغ القدم . وعلى حين أن المفاهيم والممارســات العمليــة التــي يرعاها هذا التراث القديم تؤثر في هذه العبادات والفــرق وتــضفي عليها طابعاً هندوسياً مميزاً ، فإن هذا التراث القديم ذاته هو الحــصيلة النهائــية لمؤثرات ثرية أتت من القارة الهندية ، بحيث استوعبت في داخله جميع الآلهة المحلية ، وآلهة القبائل وكثرة من الطقوس والفلسفات .[٢٤]

ويجــدر الإشــارة إلــى أن تناول فلسفة الهندوسية على نحو تفصيلي وتحليلــي يتطلب بحثاً متخصصاً في هذه النقطة تحديداً ، ولكن – وبإيجاز شديد – تقــوم الفلسفة الهندوسية على مجموعة من المعتقدات الأساسية وهي : عبادة

قوى الطبيعة – تشخص هذه القوى بأسماء الآلهة – الاعتقاد في خلود الروح – عبادة الأجداد – الميل إلى إخضاع الطبيعة والناس والآلهة لإله واحد أقوى منها وهـو الإله أندرا – أساس الدين أو حقيقته تنحصر في تبادل الإنسان قرابينه ، وأن تمنحه الآلهة الكثر واليسر والمطر المبارك والصحة والكنوز .

أما البوذية ، فإن موطنها الأصلي هو الهند ، ثم انتقلت من الهند إلى ما حـولها الصين واليابان وبورما ، حتى أصبحت هذه البلاد هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن تقلص شأنها في الهند .

ويعـرف هـذا المـذهب على مستوى العالم باسم " البوذية " ، أما في موطنه في آسيا فيعرف باسم بوذا – ساسانا Buddha - Sasana بمعنى طريقة حـياة أو نظـام الواحد المتيقظ وهو البوذا . ويعرف أيضاً باسم بوذا – داهما Buddha - Dhamma بمعنـى داهما – الحقيقة الخالدة والمقصود هنا بوذا أو جـوتاما Gautama الذي عاش في شمالي الهند في القرن السادس قبل الميلاد (سنة ٥٥٧ ق. م) ، وبوذا هذا لقب له ، ومعناه " العالم المستنير " .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن بوذا كان نبيل الفكر قوي الروح ماضي العـزيمة واسـع الـصدر عـزوفاً عن الشهوات ، زاهداً كريم النفس ، حسن المعاشرة ، بريئاً من الحقد والعدوان ، جامداً لا ينبعث فيه حقد ولا بغض ، ولا تحـركه عواطف ولا تهيجه نوازل . وكانت البوذية في أول أمرها مذهباً خلقياً يرمـي إلى تزكية النفس وتحررها من الشهوات ، ويدعو إلى الحب والتسامح ، والعمل بقدر ما يمكن للتخفيف من آلام الإنسان ، لا فرق بين إنسان وآخر (على عكس الهندوسية التي تؤكد على التمايز الطبقي) . ولم تهتم البوذية بالبحث عن إلـه كمـا هو الشأن في الهندوسية فالناس – من وجهة نظرهم – يشقوا كثيراً بالآلهـة . ولذلك نجد تعاليم بوذا تدور كلها حول الأساس الخلقي : لا تقتل . لا تسرق. لا تشرب خمراً . لا ترقص . لا تكذب . لا تزن . لا تكن مترفاً .. إلخ. وكـان أهم شيء اتجه إليه بوذا هو العمل على إلغاء نظام الطبقات الذي أوجدته الديانـة الهندوسـية ، لأن الـناس عـنده سواسية لا فرق بين صغير وكبير ، وتفـاوتهم يكون حسب طهارة نفوسهم وما تتحلى به من حب وعطف وتسامح نحو الآخرين .[٢٥]

والواقـــع أن طابـــع البوذية وروحها غريب تماماً عن التعصب الأعمى تجـــاه أولـــئك الذين يختلفون معها في الرأي ، وهو ما كان واضحاً في استقبال البوذية وتعاملها مع المذاهب الأخرى ، حيث لم ترفض هذه المذاهب والمعتقدات رفضاً عنيفاً ولم تدنها بغير تردد ، بل سمحت لها بالاستمرار ، وامتد الأمر لما هـــو أبعـــد مـــن ذلـــك بسعي البوذية إلى ضم هذه المعتقدات والممارسات إلى المعتقدات البوذية .

وكانـــت الصلات بين الهند والغرب من قبل الميلاد ، حيث كان التجار العـــرب هم واسطة هذه الصلات تقريباً . فبلادهم قريبة من الهند تقع على بحر العرب كما تقع الهند ، وسفنهم هي التي كانت تقوم بنصيب كبير في نقل التجارة بين الهند وبين هذه البلاد ، ومن الطبيعي أن يكون التجار والبحارة العرب بحكم عملهـــم أكثر صلة بالهنود . وحين ظهر الإسلام ، ودخل العرب في دين الله ، كـــان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب ، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها . وقد وصل المسلمون إلى الهند على ثلاث موجات مميزة ، كـــان وصولهم الأول إلى سواحل جنوبي الهند كدعاة للدين وتجار ، ورغم أنهم جاؤا بأعداد قليلة فقد استمر وجودهم حتى القرن الخامس عشر . والموجة الثانية لوصـــول الإسلام إلى الهند حدثت في عهد الحجاج بن يوسف ، حين نظم حملة ناجحة في عهد الأمويين ، قادها محمد بن القاسم سنة ٧١١م . وقد نتج عن هذه الحملـــة ضم السند إلى الخلافة الأموية . وكانت بلاد السند الإقليم الوحيد الذي حكمه العرب مباشرة أو الذي احتك بهم مباشرة . ورغم أنه كان إقليماً بعيداً عن الخلافة فقد كان الطريق الرئيسي الذي انتقلت من خلاله العلوم الهندية إلى بغداد . وقـــد زار السند العربية جغرافيون مسلمون كالمسعودي (توفى سنة ٩٥٦م) ، وابـــن حـــوقل والاصطخري . وسلكت الموجة الثالثة طريق ممرات أفغانستان الشمالية الشرقية . وقد بدأت بغزوات محمود الغزنوي (٩٩٨-١٠٣٠) وتأسيس الـــسلطة الغـــزنوية في البنجاب . وفي عهد الغزنويين ، أصبحت لاهور قاعدة للـــثقافة الإســـلامية في الهند . ونشأ نمط مميز من الثقافة الهندية الإسلامية في جنوبـــي الهـــند المعـــروفة باسم الدكن في ظل البهامنيين (١٣٤٧ – ١٥٢٧) . وربمـــا كانـــت أقل رقياً من حضارة الشمال لكنها كانت أكثر ليناً منها . وكان

انجازهـــا الثقافـــي الرئيسي ، بخلاف عمارتها المحلية، يتمثل في تطوير اللهجة الدكنـــية للغـــة الأوردية التي أنتجت أدباً غنياً وسليماً من النثر والشعر قبل مدة طـــويلة مـــن تحول الهند الشمالية إلى الأوردية كلغة أدبية . وقد نقلت العلاقات الـــتجارية تأثير العمارة البهمانية إلى المسلمين على الساحل الشرقي لأفريقيا . ولكـــن قيام الإمبراطورية المغولية على يد بابر (وهو من أتراك تيمورلنك) سنة ١٥٢٦م يمـــثل أعلى ما وصلت إليه الهند الإسلامية من روعة وسلطة سياسية وازدهار ثقافي .[٢٦]

وفي مجال الرياضيات والفلك ، اتصل المسلمون بالهند ، وأخذوا عنهم قـــبل أن يتصلوا – اتصالاً وثيقاً – باليونان . فقد ذكروا أن وفداً من الهند وفد علـــى أبي جعفر المنصور سنة ١٥٤هـــ وفيهم رجل ماهر في معرفة حركات الكـــواكب وحسابها ، وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته ، وكان معهم كتاب الفلكي الرياضي " برهمبكت " فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب ، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخذه العرب أصـــلاً فـــي حـــساب حركات الكواكب ، وما يتعلق به من الأعمال فتولى ذلك الغزاري ، وعمل منه زيجاً اشتهر بين علماء العرب ، حتى أنهم ظلوا يعملوا به إلى أيام المأمون، حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية .[٢٧]

لقد أخذ العرب المسلمون كثيراً من نظريات الهند في الحساب والهندسة وبعض المصطلحات الهندية مثل مصطلح " الجيب " في حساب المثلثات ، ولكن لـــم تنل العرب من التقنيات والشهرة العلمية في هذه التخصصات عن طريق ما أخذوه من علماء الهند ، ذلك أنها كانت عبارة عن مصنفات عملية قاصرة على منطوق القواعد ، وشرح استعمال الجداول ، خالية من البراهين والتحليلات .

كذلك كان في بغداد أطباء هنود ، يمثلون الطب الهندي – بجانب الطب اليوناني – اشتهر منهم في عهد الرشيد " صالح بن تتهله الهندي " .[٢٨]

ولقد واجه الإسلام في شبه القارة الهندية تحديين خارجيين هددا هويته ، وهما : التحدي الهندوسي والتحدي الغربي . فالحضارة الهندوسية ، رغم بنيتها الطبقـــية ، أقـــدر على استيعاب العناصر الغربية وتمثلها أكثر من أي حضارة أخـــرى . ولقـــد كان الإسلام وحده هو الذي استطاع ، بفضل توحيده الصارم

وعـــزلته الطائفـــية ، أن يقـــاوم قوة الجذب التمثيلية الهندوسية ، لكن الاتصال والـــصراع بـــين الديانتين والحضارتين أديا إلى نشوء جماعات هامشية ضئيلة الحجم مثل البراهيميين والحسينيين الذين تأثروا بالفئتين الإسماعيليتين الرئيسيتين فـــي الهـــند ، البهـــرة والخوجيين ، كما أديا ضمن الهندوسية إلى نشوء حركة البهاكنـــي الـــصوفية التوفيقية في القرن الثالث عشر ، وإلى تشكيل ديانة السيخ التي أصبحت فيما بعد عدواً لدوداً للإسلام .[٢٩]

والواقع أن قدراً كبيراً من الصراع السياسي بين الهندوس والمسلمين في العصور الحديثة ، إنما هو إرث الصراع الديني والثقافي الذي نشب في التاريخ الوسيط وأوائل التاريخ الحديث .

٤ – الحضارة الإسلامية والحضارة الروسية الأرثوذكسية :

المقـــصود بالحـــضارة الروسية في البحث الراهن ، تلك الحضارة التي تنتمي إلى الأرثوذكسية الغربية ذات الأصول البيزنطية . وثمة حدود فاصلة بين الحـــضارة الروسية الأرثوذكسية والحضارة الغربية الكاثوليكية على الرغم من عامل الإرث اليهودي / المسيحي المشترك .

وفضلاً على التباين المذهبي ، والنسب البيزنطي المختلف ثقافياً وقيمياً ، يضاف إلى ذلك عامل مهم ، وهو خصوصية الخضوع للحكم التتري لأكثر من قـــرنين مـــن الـــزمان ، وطول فترة حكم سياسي جمعت صيغته بين الاستبداد والبيروقراطية ، وأخيراً لمحدودية تعرض وتأثر الأرثوذكسية الأوروبية للنهضة والإصـــلاح الديني والتنوير ، وغيرها من التجارب المركزية في تاريخ تطور الحضارة الغربية ، وأيضاً تأخر هذا التعرض والتأثر في بعض الأحوال .[٣٠]

ولقد كان انتشار الإسلام في ثنايا الحضارة الروسية الأرثوذكسية مثاراً للدهشة ، فبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد جنكيز خان وجنوده سنة ١٢١٨م ، تقهقر الإسلام على نحو ملحوظ إلى أن دخل قلوب بعض المغول مثل بـــركة خان ، الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركة خان ، وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق بـــه من الأذى على يد أجداده ، فاهتم بإنشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إلـــيهم ، وتيسير مهمتهم في نشر الدين . كذلك انتشر الإسلام بين القبيلة الذهبية

أكبر قبائل المغول نظراً لتبعيتهم لبركة خان . وفي سنة ١٣١٣م ، تولى زعامة القبيلة الذهبية أوزبك خان ، الذي ظل يحكمها حتى سنة ١٣٤٠م ، وكان مسلماً متحمساً للإسلام ، فوضع خطة لنشر الإسلام في كل بلاد الروس ، وكانت المسيحية قد انتشرت بينهم على يد دعاة مسيحيين من بيزنطة (القسطنطينية) . ولكن أوزبك خان كان متسامحاً ، فلم يأذن لنفسه في اضطهاد المسيحيين في بلاده ، بل ترك دعاة المسيحية يبشرون كيف شاؤا . وبهذا لم يقدر لهذا الزعيم المغولي المسلم المتحمس أن يوقف تقدم المسيحية في بلاد الروس ، وظل الإسلام في روسيا مقتصراً على المناطق التي خضعت لمغول القبيلة الذهبية .

وكان يجاور مغول القبيلة الذهبية في جنوب روسيا شعب إسلامي آخر من أصل تركي هو شعب البلغار وقد اجتهد البلغار في تحويل الروس إلى الإسلام ، حيث كانوا على الوثنية في كييف ، وكان ملكهم يسمى فلاديمير ، وكان التنافس شديداً بين المسلمين والنصارى على اجتذابه ، واستقر رأيه على اتباع المسيحية على مذهب الكنيسة الإغريقية (الروم الأرثوذكس) سنة ٩٨٨م ، وهكذا كسبت المسيحية شعب الروس كله ، وانتشرت في كل ما سكنوه وخضع لهم من بلاد ، وهذا حدث يعتبر من أخطر حوادث التاريخ الإسلامي ، خاصة وقد تعصب قياصرة الروس للمسيحية تعصباً شديداً . وعندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧م ، كان في روسيا أعداداً كبيرة نسبياً من المسلمين ، معظمهم من التتار الذين كانوا القياصرة يستجلبونهم من آسيا للاستعانة بهم في الشئون العسكرية ، وكانت السلطات الروسية تكره أن ينشئ التتار مساجد لهم ولا يسمح لهم بالزواج من الروسيات إلا إذا دخلوا المسيحية ، وكانت الدولة تعمل على تنصيرهم ، وهكذا تحمل تتار روسيا هذا العسف ، لكي يحتفظوا بدينهم ، وعاشوا في فقر وعسر في مناطقهم محتفظين بدينهم . وأما تتار القرغيز ، فقد ظلوا متمسكين بدينهم الإسلامي رغم كل محاولات الروس في تنصيرهم .(٣١)

ومما يثير الدهشة أن يرجع الفضل إلى التتار ، الذين كانوا في يوم من الأيام من ألد أعداء الإسلام إلى انتشاره في روسيا ، بل والدفاع عنه ومحاولة تثبيته ، ذلك أن الإسلام دين عقل وحوار . وفي بعض الأماكن من روسيا ،

شـــاعت عناصـــر مـــن الثقافة الإسلامية ، وأصبحت جزءاً من أنظمتها الثقافية التقلـــيدية ، حيث كيّف الإسلام نفسه مع الثقافة المحلية والبيئة الاجتماعية ، وقد أدى ذلـــك فـــي بعض الحالات إلى نشوء تركيبات جديدة فريدة . ولعب الإسلام دوراً علـــى جانـــب كبير من الأهمية في الثقافة المادية ، وبصورة خاصة في الطابـــع المعماري ، الذي كان التأثير فيه متبادلاً بين روسيا والدول الإسلامية . كذلك جاء التأثير واضحاً للإسلام في الطقوس الحياتية الأساسية التي يتميز بها مجـــرى حـــياة الفـــرد من المهد إلى اللحد ، وخلع الإسلام على هذه الجماعات سمات متشابهة تتجاوز الفروق الكبيرة التي كانت بينها في الماضي والاختلافات العـــرقية والثقافـــية الكبيرة ، وأما فيما يخص الحياة الاجتماعية فتتجلى السمات المتشابهة أوضح ما تكون في حياة الأسرة حيث تركت الشريعة الإسلامية بغير شك ، أكبر أثر اجتماعي لها .

٥ – الحضارة الإسلامية والحضارة الأفريقية :

علـــى الرغم من الجدل المثار حول الحضارة الأفريقية ، إلا أن أفريقيا ســـتظل تكويـــناً وأرضاً وشعباً تعبر عن جزء حضاري مهم ومتميز في تاريخ الحـــضارة الإنـــسانية . وربما من قبيل الملاحظة العابرة ، فإن قارة من قارات الدنـــيا لم تشهد هذا التنوع الثقافي والحضاري مثلما نراه في أفريقيا . وقد تكون هذه القارة – مستقبلاً – قارة الحوار الحضاري نظراً للتعايش المقبول نسبياً بين الديانات الأفريقية التقليدية والإسلام والمسيحية وقليلاً من اليهودية .

إن عـــدداً من المفكرين والمؤرخين الغربيين يشكك في وجود حضارة أفريقية بالمعنى الدقيق لكلمة حضارة استناداً لمجموعة من الاعتبارات :

أ – أن جـــزءاً كبيـــراً مـــن قارة أفريقيا ، خاصة منطقة شمال القارة ينتمي للحضارة الإسلامية .

ب – أن دولاً وكـــيانات جغـــرافية داخـــل القارة تنتمي لهويات حضارية لها خـــصوصيتها التاريخـــية مـــثل مصر وأثيوبيا (على الرغم من الانتماء الإسلامي لمصر) .

ج – التأثيـــر الثقافـــي والدينـــي للاســـتعمار طـــيلة عقود طويلة ، فقد لعب المـــستوطنون الأوربيون من هولنديين وبريطانيين وفرنسيين وبرتغاليين

دورهم في إيجاد تأثيرات ثقافية في الأماكن التي استقروا بها في القارة ، كما كان للمستوطنين الهنود في شرق وجنوب شرق وجنوب القارة دور مماثل ، وإن كان أقل تأثيراً .

إلا أنـــه بالرغم من كل هذه التأثيرات والاعتبارات ، فقد بقيت حقيقة أن الغلـــبة فـــي أفريقيا – خاصة غير العربية – هي لانتماءات متداخلة من العرق والقبيلة واللغة ، مع وجود شعوب أفريقية لديها قناعة بوجود تراث حضاري لها في أزمنة بعيدة . بل إن عدداً من المفكرين الأفارقة روجوا لنظريات حضارية عامـــة تـــشمل الأفارقـــة عمـــوماً مثل رئيس السنغال الأسبق (ليوبولدسنجور) ونظريته حول الحضارة الزنجية ودورها المحوري في بناء الحضارة الفرعونية المـــصرية القديمة ، باعتبار الحضارة الزنجية أصل تلك الحضارة المصرية ، علـــى حين يذهب مفكرون آخرون مثل أحمد سيكوتوري وشقيقه إسماعيل إلى التأكيد على حجم وتميز مساهمة الشعوب الأفريقية في إثراء وتطور الحضارات الأخرى خاصة الحضارة الإسلامية .[٣٢]

بيـــنما ينحو بعض المفكرين منحى ثالث بالتأكيد على الهوية الحضارية الأفـــريقية ، تلـــك التي تعبر عن التفاعل الحضاري بين التقاليد القبلية الأفريقية البدائية والإيديولوجيات الحديثة والعقيدتين الإسلامية والمسيحية ، والأمثلة على ذلـــك الرئيـــسين الراحلين كينياتا (كينيا) ، نيريري (تنزانيا) . وعلى الرغم من الـــتعدد فـــي الآراء والنظريات حول الحضارة الأفريقية فإن لأفريقيا حضارتها المتميـــزة وهويتها الثقافية الخاصة بها ، وهي كغيرها من الحضارات تعرضت لقوى التأثر والتأثير ، فأخذت وأعطت ، محتفظة حيناً ، ومتخلية حيناً آخر .

وعلى الرغم من الصعوبة التي يكتنفها البحث في مجال دخول الإسلام إلـــى أفـــريقيا ، إلا أن الحقيقة الأساسية في هذا المضمار تشير إلى أن ارتباط الإســـلام بالـــتجارة كان هو السبب الرئيسي لدخول هذا العدد الكبير من شعوب القارة الأفريقية إلى الإسلام ، وإن كانت هناك بعض الأجزاء التي دخلها العرب عن طريق الفتح الإسلامي لنشر الدين (مثل مصر والسودان الشرقي) . فلقد كان لهـــؤلاء الـــتجار المسلمين الأوائل ، سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب المدفوعـــين بحماســـة الداخلـــين جديـــداً إلى الدين ، تأثير قوي في المجتمعات

الأفـــريقية التـــي كانوا يمرون بها خلال أسفارهم ، وكثيراً ما كانوا يقيمون بين ظهرانيها . وبالرغم من أنهم لم يكونوا من الدعاة النشطين في المجال الديني ، فإن عباداتهم الدينية كانت تثير انتباهاً كبيراً ، وكانت معرفتهم بالثقافة الإسلامية واتـــصالاتهم التجارية الواسعة المدى تضفي عليهم وعلى الرجال الأتقياء الذين كانوا يسافرون معهم بريقاً خاصاً في نظر السكان المحليين . ومن العوامل التي دعمت انتشار الإسلام في أفريقيا ، بساطة المتطلبات العقائدية للإسلام وتسامحه إزاء المعـــتقدات الدينـــية التقليدية والعرف المحلي ، وبصفة عامة كان الإسلام جـــذاباً للأفارقة باعتباره مصدراً لأساليب جديدة في أداء الطقوس ، بالنسبة إلى إناس كانوا يفتشون دائماً عن علاجات قوية خارقة للطبيعة نظراً لافتقارهم إلى أي تحكم علمي يذكر في بيئتهم أو مصيرهم .

ولكـــن إذا كانـــت مثل هذه الاعتبارات قد شجعت الأفريقيين كثيراً على الـــتوجه نحو الإسلام كدواء لمصائب الحياة ، بحيث اعتبر هذا الدين الجديد في الواقـــع كمـــصدر جديد للقوى الخارقة اللازمة لمعالجة صعوبات الحياة اليومية مـــصائبها على غرار الديانة الأفريقية التقليدية ، فإننا يجب ألا ننسى أن العقائد الأخروية الأوسع التي يقدسها الإسلام إنما تمثل تحولاً جذرياً جديداً عن العقائد التقلـــيدية . فالاعتقاد بحياة أخرى ينال فيها الإنسان الثواب والعقاب على أعماله التـــي ارتكـــبها في هذه الحياة ، هذا الاعتقاد غريب بصورة عامة عن الأديان الأفـــريقية التقليدية ، ودخول هذا الاعتقاد مع الإسلام يعطي أساساً جديداً لتقييم الأخـــلاق ، وفـــيما يـــتعلق بغرس الإسلام الفعلي ، يجب أن نسجل الأثر المهم للتـــيارات المحلية السائدة والمتعلقة بحركة السكان وهجرتهم ، فحينما كان تدفق الهجـــرات القبلية يتطابق مع مسار انتشار الإسلام من خلال التجارة ، كان هذا التطابق يدعم انتشار الإسلام .[٣٣]

ومما يلفت الانتباه ، إمكانيات التسامح التي يقدمها الإسلام إزاء الطقوس التقليدية مادامت لا تتعارض مع القرآن ، بل أحياناً تنسجم معه ، وهذه المرونة والانفتاح يفسران شعبية الإسلام في أفريقيا وانتشاره باطراد أكثر من أي ديانة أخرى سواء سماوية أو أفريقية تقليدية . ومما يؤكد ذلك أن عدد الدول الأفريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ارتفع إلى ٢٧ دولة من مجموع أعضاء

المنظمة الذي يصل إلى ٥٧ عضواً ، ويقدر إجمالي السكان المسلمين بنسبة ٥١ % من إجمالي السكان في القارة . وكما سبق أن أوضحنا فإن سماحة الإسلام وبساطة تعاليمه وتأكيده على مبدأ المساواة بين البشر ونبذ التفرقة العنصرية فضلاً على عدم ارتباطه في أذهان الأفريقيين بالاستعمار ، كل هذه العوامل مجتمعة ومتفاعلة شكلت قوة دافعة لانتشار هذا الدين الحنيف .

فقد زاد من سرعة انتشار الإسلام أنه لم يعمل تحت خطوة الاستعمار كما هو الحال بالنسبة للمسيحية التي جاء بها المبشرون . بل على العكس من ذلك ارتبط الإسلام بالكفاح ضد الاستعمار الغربي الذي أخضع القارة كلها لسيطرته منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين . حيث واجهت الدول المستعمرة مقاومة شديدة ، من جانب الزعامات الدينية والدول الإسلامية . كما ساهم التجار المسلمون والزعامات الإسلامية التي يلتف حولها الأفريقيون في مناطقهم المحلية في دعم الحركات القومية الأفريقية في التخلص من الاستعمار وقيام الدول الأفريقية المستقلة ، ومن ثم أصبح الإسلام ديناً أفريقياً وليس أجنبياً . ولم يكن الإسلام مجرد عقيدة ولكنه مثل حضارة متكاملة، وإن كانت تتميز بأنها لم تكن حضارة إحلالية . فلم تسع لتغيير ثقافة الأفريقيين أو الانصهار في ثقافة جديدة، فمع فتح الأبواب للانتماء لثقافة عالمية ودين عالمي ، إلا أنه لم يفرض على متبعية نبذ ثقافتهم المتوارثة وأن يصبحوا أجانب أو أغراباً في بلادهم ، فالإسلام يمنح معتنقيه هوية جديدة بدون الانفصال عن مجتمعاتهم وفي إطار وحدة الدولة . فمع اتباع الأفريقيين للإسلام ، إلا أنهم يختلفون ثقافياً فيما بينهم ، ومثل الانتماء للإسلام الهوية العامة لهم . وأثبت الإسلام قدرته الاستيعابية الكبيرة للتنوع والتعدد دون المساس بجوهر الدين نفسه.(٣٤)

والإسلام في أفريقيا يتمتع بحالة من الاحتكاك ومن المنافسة الديناميكية مع ديانات تقليدية عريقة بالإضافة إلى المسيحية بجهودها التبشيرية واسعة النطاق ، ومع هذا فإنه يتقدم بصورة ثابتة . وفي كثير من دول أفريقيا شاعت عناصر من الثقافة الإسلامية ، ويلعب الإسلام دوراً على جانب كبير من الأهمية في السياسات الداخلية لكثير من البلدان الأفريقية مثل السنغال ومالي والنيجر

ونيجيريا ، وبدرجة أقل في تنزانيا . كذلك يخلق روابط مهمة ما بين هذه الدول. وقـد أدى اعتـناق الإسلام إلى تأثيرات ملحوظة على عادات اللباس والهندسة المعماريـة وبعض النواحي الأخرى للثقافة المادية . وتلقى الشريعة الإسلامية التزاماً واضحاً ، فبالرغم من أن الزواج يقترن بعادات تعود إلى ما قبل الإسلام مـثل ثـروة العـروس ، فإنه يتصف بسمات أساسية واضحة من السنغال إلى الصومال في التقيد " بالعدة " وقواعد الزواج والطلاق والمواريث .. إلخ .

وفـي السياسة نجد أن مبادئ الحكم والمؤسسات السياسية الإسلامية قد طعمت ، بدرجات متفاوتة ، البنيات السياسية لتلك الحكومات الأفريقية التقليدية التـي اعتـنقت الإسلام ، وأفضل الأمثلة الباقية نجدها في حكومات الهوسا في نيجيريا الشمالية .[٣٥]

مراجع الفصل الثالث

1 - Sarton, G. (1957), Introduction to the History of Science, Baltimore.

2 - Palacios, A. (1932), Un Precurseur Hispana – Musulman de Saint Jean de le Croix, Études Carmelitaines, Vol. 27, pp. 113-167.

3 - Draper, J. (1965), A History of the Intellectual Development of Europe, Vol. II, London, p. 42.

٤ - جـلال مظهر ، (بدون تاريخ) ، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص ١٩ .

٥ - جوسـتاف جـرونيباوم (١٩٩٧) مؤلـف ، عبد العزيز توفيق (مترجم) ، حضارة الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٤٠٨ .

٦ - المرجع السابق ، ص ٤١١ .

٧ - المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

٨ - المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

٩ - وليد محمود عبد الناصر ، (٢٠٠٢) ، حوار الحضارات ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، القاهرة ، ص ٣٠ .

١٠ - المرجع السابق ، ص ٣٤ .

١١ - أليكـسي جورافـسكي (١٩٩٦) مؤلـف ، خلـف محمد الجراد (مترجم) ، الإسلام والمـسيحية ، سلـسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ص ٦٣ .

١٢ - المرجع السابق ، ص ٦٩ .

١٣ - المرجع السابق ، ص ٩٨ .

14 - Baldwin, M. W. (1942), Western Attitudes Toward Islam, the Catholic Historical Review, 28, p. 403.

١٥ - قاسم عبده قاسم ، (١٩٩٠)، ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢١٩.

16 - Fuller, G. & Lesser, I., (1995), the Geopolitics of Islam and the West, Rand, p. 27.

١٧ - جفري بارندر (١٩٩٣) محرر ، إمام عبد الفتاح (مترجم) ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢٦٨ .

١٨ - جون كولر (١٩٩٥) مؤلف ، كامل يوسف حسين (مترجم) ، الفكر الشرقي القديم ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٣٢٦ .

١٩ - حسين مؤنس (١٩٨٧) ، الإسلام الفاتح ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مواضع متفرقة .

20 - Needham, (1969), Science and Society in East and West, in the Grand Tradition, Allen and Unwin, London, pp. 49-50.

21 - Ibid. (مواضع متفرقة)

22 - Huntington, S. P. (1996), the Clash of Civilizations and the Remaking of world Order, Simon & Schuster, New York.

٢٣ - جوستاف لوبون (ب. ت) مؤلف ، عادل زعيتر (مترجم) ، حضارة الهند ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ص ٢٥٥ .

٢٤ - جفري بارندر (١٩٩٣) محرر ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

٢٥ - عبد المنعم النمر (٢٠٠٢) ، تاريخ الإسلام في الهند ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٥٤ .

٢٦ - جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (١٩٩٨) محرران ، تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الجزء الأول ، ص ١٨٥ .

٢٧ - أحمد أمين (١٩٩٧) ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٢٦٠ .

٢٨ - المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

٢٩ – جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

٣٠ – وليد محمود عبد الناصر (٢٠٠٢) ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

٣١ – حسين مؤنس (١٩٨٧) ، مرجع سابق ، ص ص ٧٧ – ٨٠ (مواضع متفرقة) .

٣٢ – وليد محمود عبد الناصر (٢٠٠٢) ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

٣٣ – جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٦-١٥٧.

٣٤ – حورية توفيق مجاهد (٢٠٠٢) ، الإسلام في أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

٣٥ – جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

obeikandl.com